التسبيح

قال الشيخ الصالح:

أخى المسلم.. عندما تقول سبحان الله تدبر بإيمان نابع من قلبك أنه المنزه عن الشرك والمنزه عن الولد والمنزه عن كل سوء والمنزه عما لايليق بجلاله وعما لا يليق بكماله وعما لا يليق بذاته وعما لا يليق بصفاته، وعما لا يليق بأفعاله وعما لايليق بأحكامه. وتفكر بإيمان نابع من قلبك أنه مجيد متصف بجميع صفات المجد والجلال والكمال منزه عن جميع سمات النقص.

واشهد بإيمان نابع من قلبك بربوبيته وألوهيته ووحدانيته، وتذكر بعقلك وبقلبك أنه الخالق البارئ المصور وأنه القيوم المهيمن وأنه القدير القادر. فهو جل شأنه خالق كل شيء وقيوم على كل شيء وقادر على كل شيء. وتذكر أن ما من شيء إلا يسبح بحمده. تسبح له السماوات والأرض ويسبح له ما فى السموات والأرض ويسبح له من فى السماوات والأرض. تسبح له جميع الكائنات: الملائكة تسبح، الجن تسبح، الأنس تسبح، الجبال تسبح، الطير تسبح، الرعد يسبح... وإن من شيء إلا يسبح بحمده. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾ [الحشر: ١، الصف: ١] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...﴾ [الزمر: ٧٥] ﴿... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ...﴾ [الرعد: ١٣] ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥]

فأعلم أخى المسلم أن المؤمن إذا ما تدبر آيات الله فى الكون وآيات الله

فى نفسه وآيات الله فى كتابه خر ساجدا وسبح بحمده فى ذلة وخشوع وخوف ورهبة، واعلم أن المؤمن لايلهيه متاع الحياة الدنيا وزخرفها عن تسبيح المولى عز وجل وذكره وطاعته فى كل حال وفى كل قول وحركة ونشاط وعمل، واعلم أن المؤمن يحاسب نفسه ويستغفر الله ويتوب إليه ويرد المظالم ويتقرب إلى الله بالعمل الصالح. ومن لايفعل ذلك فهو منافق يقول بلسانه ماليس فى قلبه والمنافق فى الدرك الأسفل من النار.

ألم تر أخى المسلم كيف يحمل كثير من الناس المسابح زينة وكيف يحملها بعضهم تفاخرا يبتاعون المصنوع منها من الذهب والفضة والدر. وألم تر كيف يعبث بعضهم بأناملهم فى حباتها متظاهرين بالذكر والتسبيح يخدعون الناس والله خادعهم فهو العليم الخبير. وألم تر كيف يحصى بعضهم عدد تسبيحاتهم وهم يرددونها بسرعة فلا يفقهون ما يرددون ولا يتدبرون ما يقولون ولا تدرك قلوبهم ما يلفظون، وهم يظنون أنهم يسبحون وما هم بمسبحين وما لهم ثواب عما يفعلون. إن خمس تسبيحات فى طمأنينة وخشوع وخوف وتدبر لمعانى تنزيه الله وتمجيده وإجلاله وصفاته وقدراته وأفعاله ووحدانيته خير من مئات التسبيحات الخالية من الطمأنينة والخشوع والخوف والتدبر.

فالتسبيحات الخالية من الطمأنينة والخشوع والخوف والتدبر عبث لا طائل منه ولا ثواب عليه. قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: لاخير فى دعاء لا إخلاص فيه.

أخى المسلم.. أتدرى ما التسبيح الخالص لوجه الله. إنه التطبيق العملى لتنزيهه وتمجيده والشهادة بربوبيته ووحدانيته. فالعمل الصالح تسبيح ومحاسبة النفس تسبيح والصبر تسبيح والقناعة تسبيح والزهد فى متاع الحياة الدنيا تسبيح والبر تسبيح والصدق تسبيح والحلم تسبيح والتواضع تسبيح وحفظ اللسان تسبيح وصلة الرحم تسبيح والأمر بالمعروف تسبيح والنهى عن المنكر تسبيح والإصلاح بين الناس تسبيح والجهاد فى سبيل الله تسبيح وجهاد النفس

تسبيح والتوكل على الله تسبيح والعدل تسبيح والرحمة تسبيح والتوبة تسبيح ورد المظالم تسبيح والنظر إلى الله فى كل شىء تسبيح والرجوع إليه فى كل أمر تسبيح والاستعانة به فى كل حال تسبيح والرضا بقضاء الله تسبيح والخشوع لله تسبيح والخوف من مقام الله تسبيح واتقاء غضب الله تسبيح والطمع فى عفو الله ومغفرته تسبيح والكلمة الطيبة تسبيح وشهادة الحق تسبيح وإماطة الأذى عن الطريق تسبيح وإلقاء السلام تسبيح والحب في الله تسبيح. وعلامات القبول اقشعرار القلب عند التسبيح والبكاء عند ذكر الذنوب. قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها». وقال: «ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه وتعالى». وقال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله: . . . (منهم) رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ: أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب. قال: «نعم. من ذكر ذنوبه فبكى». وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «قال الله عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين. فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة».

أخى المسلم. . اخلع عن قلبك رين الرتابة المألوفة واقتطع من وقتك لحظات ترقب فيها دلائل قدرة الله عندما ترى أجرام السماء أو ترى السحاب والأمطار أو ترى النبات ينبت من الحب أو ترى الجنين يخرج من البيضة أو ترى اللبن يخرج من الضرع أو ترى العسل يخرج من النحل أو ترى الحرير يخرج من الدود أو ترى الثمار على الأشجار أو ترى نعم الله عليك فيك وحولك فى الأرض والماء والهواء والسماء وفى كل مكان وزمان. . إذا رأيت ذلك وتدبرته واقشعر قلبك وقلت بإيمان واخلاص سبحان الله تكون قد سحبت الله حقا. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن

فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ - ٨] ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص: ٧١، ٧٢] ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧] ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦، ١٧] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [سبأ: ٩]

أخى المسلم.. إذا جلست فى صفاء وتلوت أسماء الله الحسنى وتدبرت بقلبك أبعاد معنى كل إسم من أسمائه ثم قلت سبحان الله تكون قد سبحت الله حقا. وإذا شاهدت دلائل بديع خلق الله ووقرت فى قلبك وآمنت إيمانا راسخا بقدرته جل شأنه على الخلق والإبداع فسبحه وقل سبحانه هو الخالق البارئ المصور البديع. وإذا أذنبت ذنبا ولجأت إلى الله تائبا وأيقنت أن الله تعالى عفو غفور فسبحه وقل سبحانه هو الرحمن الرحيم التواب العفو الغفار. وإذا غلبك عدو على أمرك فالجأ إلى الله واستحضر فى قلبك أنه منتقم جبار وسبحه وقل سبحانه هو العزيز المتكبر المنتقم القهار وقل سبحانه

هو القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل وقل سبحانه هو الولى الوكيل الحسيب. وإذا أنعم الله عليك بنعمة من حيث لاتحتسب فسبحه وأنت موقن بأنه هو المنعم وقل سبحانه هو الوهاب الرزاق الكريم الواسع الفتاح. وإذا حدثتك نفسك أو نزغ إليك الشيطان أن ترائي أو تلجأ إلى عراف أو منجم ثم تذكرت وأيقنت أن ذلك شرك وتبت ونزهت الله وقلت سبحان الله هو الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد فإنك تكون قد سبحت الله حقا. وإذا أديت أى عمل وأيقنت أن الفاعل هو الله. فهو الذى هيأ لك الأسباب. وهو الذى هداك إليها وإلى استخدامها. وهو الذى منحك القدرة على الأداء. وهو الذى حقق نتيجة العمل. إذا أيقنت ذلك وشكرت الله وحمدته وقلت سبحانه هو القيوم المهيمن القدير المتين القادر المقتدر مالك الملك العلى الكبير العظيم الوالى المتعالى فإنك تكون قد سبحت الله حقا. وإذا أقدمت على أى عمل فقلت إن شاء الله أعمل ذلك وأنت تؤمن إيمانا راسخا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فإنك تكون قد سبحت الله. وإذا تقدمت لشهادة الحق تلقائيا دون أن تستدعى فإنك تكون قد سبحت الله. وإذا وصلت من قطعك تكون قد سبحت الله. وإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فإنك تكون قد سبحت الله. وإذا أعنت إنسانا لوجه الله أو تصدقت بصدقة لوجه الله دون رياء ولا من فإنك تكون قد سبحت الله.

أخى المسلم.. هذه تسبيحة اذكرها بخشوع وطمأنينة وأنت تستحضر معانيها:

«هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم* هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون* هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم» «ليس كمثلة شىء» «وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله» «لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء» «وهو بكل شىء عليم» «عالم الغيب والشهادة» «وهو رب كل شىء» «رب العرش العظيم» «فعال لما يريد» «بديع السماوات

والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون» «وهو معكم أينما كنتم» «ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل» «فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون».

هو الله الذى ليس كمثلة شيء ولاهو مثل شيء. لايحويه مكان ولايحده زمان فهو فى كل مكان وزمان وهو خالق المكان والزمان. لا موجود سواه إلا حادث بفعله. هو القادر القاهر الجبار. هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولانوم ولايعتيريه فناء ولاموت. له مقاليد السماوات والأرض وله ملك السماوات والأرض وله الكبرياء في السماوات والأرض ووسع كرسيه السماوات والأرض. وهو ذو الطول له السلطان والقهر والأمر إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. لايجرى فى الملك والملكوت أمر إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته. ولا راد لأمره ولا معقب لقضائه. وهو بكل شيء عليم. عالم الغيب والشهادة لايعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض فهو يعلم السر وأخفى. وهو السميع البصير لايعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ولايغيب عن رؤيته مرئى وإن دق. هو الأول والآخر والظاهر والباطن. هو الله الذى لايحجبه شيء فهو الذى أظهر كل شيء وهو الذى ظهر بكل شيء وهو الذى ظهر فى كل شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء وهو أظهر من كل شيء. وهو الواحد الأحد الذى ليس معه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء ولولاه ما كان وجود شيء. وهو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير و هو على كل شيء قدير.

اللهم قد بلغت.. اللهم فاشهد